٤ (مطابع اليهود) لليهود في القدس ثلاث مطابع . الاولى قديمة طُبعت فيها بالعبرانيـة جريدة تُدعى الراحة (המנוחה) من نحو ٣٠ سنة . وكانت لسان حال اليهود التلموذيين . ثم أُبطلت

(المطبعة الثانية) انشأها الموسيو الروسي لُنكس (Luncz) طبع فيهـا بعض تآليف علميَّة منهـا تاريخ فرحي من كتبة القرن الثالث عشر ومنها جغرافية فلسطين لرَبي شوارتس (R. Schwarz) ولهُ تقويم سنوي ودليل للزوَّار ومجلة دعاها « اورشليم » تظهر اربع مرَّة في السنة انشأها منذ خمس سنوات

(المطبعة الثالثة) انشأها قبل ١٢ سنة احد اليهود الروسيين اسمهُ ابن يهوذا . نشر مدَّةً جريدةً دعاها النور (האור) وكان منشئها حرّ الافكار يُريد إطلاع قومهِ على أحوال تمدُّن العصر فسمي بهِ وأُلغيت جريدتهُ . ثمَّ نال امتيازًا بجريدة اخرى دعاها الحاسن (הצפירה) لا تزال حيَّةً وقد نشر ابن يهوذا في مطبعتهِ بعض كتب مدرسيَّة لأحداث امتهِ كمبادئ القراءة واصول التاريخ والجغرافيـة . وقد باشر بمعجم كبير للغة العبرانيَّة واللغة التلموذية مع شرح الالفاظ بالالمانيَّة والفرنسيَّة

وفي القدس الشريف مطابع أُخر حديثة النشأة منها المطبعة الوطنيَّة لالفنس افندي انطون الونصو طُبع فيها سنة ١٨٩٩ كتاب فرض اخويَّة قلب يسوع الناذع . ومطبعة الخواجا ح . افندي حنانيا ذكرنا في المشرق بعض مطبوعاتها (٤ : ٥٧١ و ٢ : ١٠٠)

وللجمعيَّة البروتستانيَّة المعروفـة باسم Church Missionary Society مطبعة صغيرة طُبعت فيها كراريس قليلة منها كرَّاسة بحروف المعـاني والاسماء المبنيَّة والافعال الجامدة (١٨٩٤ . ص ٥٢) (ستأتي البقيَّة)

يوحنا فم الذهب

ورئاسة بطرس وخلفائهِ على الكنيسة الجامعة

للاب ابيل رينو اليسوعي

لا يخطر على بال الشرقيين ذكر يوحنا فم الذهب المجيد او يطرق اسمهُ مسامعهم حتى تراهم على اختلاف الملل يتفاخرون بذكرهِ ويتباهون بفصاحة لسانهِ ويذعنون لتعاليمهِ

كيف لا ريدل مجرّد اسمه على انّ من هذه القناة الذهبيّة لا تفيض الّا مياه صافية اذ الفم يتكلّم من فضل ما في القلب (متّى ١٢: ٣٤)

واليوم رأينا ان نستقي هذا المقام الجليل عن رئاسة بطرس وخلفائه الاحبار الرومانيين فنواصل بهذه النبذة ثلاثَ مقالات سابقة كتبها حضرة الاب يوحنا راي في رئاسة الاحبار الرومانيين على كنائس الشرق في الثلاثة القرون الاولى للنصرانيّة (راجع المشرق ٢: ٢ و٤٤ ثم ٣: ٨٠٧). وفي بحثنا هذا قد استندنا الى تآليف القديس المذكور نفسها فرجمنا الى الاصل اليوناني ولم ننقل عنهُ كلمةً حتّى تحقّقنا معناها وتفهّمنا مضمون الخطاب وسياق المعاني. وليتأكّد القارئ صحّة قولنا قد دللنا في ذيل الكتاب على المجلّد والصفحة من طبعة غوم (Gaume) الشهيرة الحاوية لاعمال فم الذهب في ١٢ مجلّدًا

*

لا يجهل القرّاء ان اسم القديس بطرس ورد في الانجيل لاوّل مرّة لمّا جاء اندراوس باخيه سمعان وقدّمهُ للمسيح (يوحنّا ١: ٤١ و ٤٢) فقال الرّب حين رآهُ: «انت سمعان ابن يونا انت تُدعى كيفا الذي تفسيرهُ الصفاة (١)» — فالقديس يوحنّا فم الذهب اذ فسّر الخبير الحبيب لم يفُتهُ كلام المخلّص لبطرس فاذا تراهُ استنتج من قول الرب. دونك ما كتبهُ في هذا الصدد (٢: «انّ بطرس لم يُجب جوابًا على قول الرب لانّهُ لم يدرك بعدُ الامر جليًّا ولم يفهم النبوّة المتضمّنة في هذا الكلام اذ المسيح لم يقل لهُ حينئذٍ: انت الصفاة وعلى هذه الصفاة أبني كنيستي ولكن قال فقط: «انت تُدعى كيفا». وقد علّل ذلك فمُ الذهب في مطاوي شرحهِ حيث قال: «انّ الربّ لم يشأ وقتئذٍ ان يصرّح بكلّ سلطانهِ ريثما تسنح لهُ الفرصة لبيان لاهوتهِ لتلاميذهِ. فلمّا اثبت لاهوتهُ قال بل. قدرتهِ الالهيّة: طوبى لك يا سمعان لأنّ ابي اوحى اليك هذا الاقرار وعليهِ فانا اقول لك انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي»

وقد زادنا البطريرك القديس ايضاحًا في خطبة كتبها عن تغيير الاسماء في الكتاب الكريم (٣ قال: «انّ المسيح لذكرهِ السجود دعا بطرس باسم الصفاة لما اودعهُ في هذا

---

١) وباليونانية Πέτρος (بطرس)

٢) راجع الخطبة ١٩ على انجيل يوحنّا ج ٨ ص ١٢٩ ٣) ج ٣ ص ١٦٠

الاسم من اظهار الثبات في الاعتقاد ليكون هذا اللقب كمعلّم دائم يوطدهُ في الايمان».
فترى من هذا القول انّ الذهبيّ الفم لا يعتبر ابدال اسم سمعان ببطرس كأمرٍ لا طائل تحتهُ بل يعدُّهُ كواقعٍ هامٍّ يدلّ بهِ الربّ على شدّة الايمان فيجعل بطرس هذا الاسم امام عينيهِ كمعلّم يرشدهُ بلا انقطاع. فضلًا عن انّ هذا الاسم يتضمن نبوّةً سيقوم المسيح بتحقيقها يومًا اذ يقول لسمعان انّهُ الصفاة التي سيبني عليها بيعتهُ (١

*

فممّا تقدّم لاح لنا علنًا ان يوحنا فم الذهب كان يعرف مقام بطرس ورتبتهُ السامية غير ان كلامهُ أصرح واجلى بيانًا عند شرحهِ لقول المسيح لبطرس (متّى ١٥ : ٢٧) بعد ان اعترف هذا بلاهوتهِ بإزاء التلاميذ قائلًا انهُ هو المسيح ابن الله الحي. فاجابهُ المسيح قائلًا: وانا اقول لك: انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي. فان للذهبي الفم كلامًا مسهبًا في شرح هذه الآية. وقد كرّرهُ مرارًا في خطبهِ البليغة. من ذلك ما كتبهُ في خطبتهِ الرابعة عشرة على انجيل متى (٢ فانهُ بعد ان بيّن ان الكنيسة مبنية على الايمان الذي اقرّ بهِ بطرس قال ما نصهُ مصرّحًا بسلطان هامة الرسل: «اسمع ايها الحبيب قول الرب اني سأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات الخ. فبقولهِ «سأعطيك» اقام بطرس الى مقام رفيع واظهر معًا لاهوتهُ وكونهُ ابن الله اذ وعدهُ بوعدَين لا يمكن ان ينجزهما احد الّا الله لانهما خاصّان بهِ تعالى وحده. وعد ان يعطيهُ السلطان ليحلّ الخطايا ويجعلهُ هو الصيّاد اقوى من الصخرة الصماء ليكون ركنًا لكنيستهِ لا تعمل فيها سورة البحر العجّاج ذي الامواج المتلاطمة. هذا ما وعد بهِ الرب رسولهُ»

فحبّذا الكلام خرج من فم عسجدي لم ينطق الّا بالصدق واليقين. نعم ان قائلهُ يعتبر لاهوت المسيح كالاساس الاول للكنيسة لانهُ اذا انتقض هذا السند تضعضع البناء كلهُ واضحت الكنيسة جماعةً بشريّة ولم يَعُد بطرس سوى صيّاد وضيع خامل.

---

١) اعلم ان الذهبيّ الفمّ كثيرًا ما ذكر ابدال الرب لاسم سمعان. راجع مثلًا الجزء الثالث من اعماله (ص ٤٤) حيث قال: انّ سمعان دُعي بطرس (اي الصفاة) لشدّة وثبات ايمانهِ. وقال في محلّ آخر (٣ : ١٢٢): «انّ الله لا يأتي بمثل من خفّة بل اعمالهُ كلُّها من حكمة الهيّة. فاذا ما دعا احدًا باسم خاصّ فإنّ ذلك الّا لداعٍ يجب علينا البحث عنهُ». ثمّ ضرب مثل سمعان الذي دعاهُ الرب بطرس دلالةً على ايمانهِ الثابت

٢) راجع طبعة غوم (ج ٧ ص ١٦)

ولكن مع إقرار الذهبي الفم بان المسيح هو الركن الاصلي قد اثبت ايضاً بان الرب اسند بطرس الى لاهوته وجعله اقوى من الصخرة العمياء التي تعتمد عليها الكنيسة فتسخر من سورة الاضطهادات والمحن كما رأيت من النص السابق

ولم يصرّح يوحنا فم الذهب بكون بطرس اساس الكنيسة وركنها دفعةً واحدة بل عاد الى ذلك مراراً عديدة نروي بعض أقواله. قال في خطبته الثالثة على انجيل متى (ج٧ص٤٩): « ان اعمالنا الصالحة لا تُعدُّ عظيمةً الّا اذا اعتبرناها كلاشيء.. ألا ترى ان بطرس اضحى اساً للكنيسة لقوله للرب بتواضع: اخرج عني لاني رجل خاطئ »

وقال في موضع آخر (١ يثبت جودة الزواج الشرعي: « من يستطيع ان يبخس يسرَ الزواج أفلم يكن بطرس اساس الكنيسة مقترناً بالزواج »

وقال ايضاً يصف انواء ثارت واعاصيراً زخرت في انطاكية فكادت تدمر البلاد (٢: « انّا في خلال هذا الطوفان العرمرم قد وجّهنا الالحاظ الى الهامتين بطرس ركن الايمان وبولس الاناء المصطفى ». فترى كيف افرز بين بطرس وبولس بعد ان وصفهما كليهما باسم الهامة. فاعطى لكلٍّ منهما حقَّهُ

وان اعترض علينا احد بقوله ان الرسل جميعاً قد دُعوا باسم الاساس وقد عمّهم بولس بهذا الاسم حيث قال لاهل افس (٢: ٢٠): « قد بُنيتم على اساس الرسل والانبياء وحجر الزاوية هو المسيح يسوع » اجبنا انّ الذهبيَّ الفم لا ينكر ذلك بيد انهُ يفرق بين بطرس وبقيّة التلاميذ فيجعل للرسل مقاماً مشاركاً في اساس الكنيسة اما بطرس فلهُ المقام الاول بين هؤلاء الاثني عشر لان المسيح ميّزهُ وخصّهُ بما لم يخص احداً دونهُ كما رأيت في النصوص السابقة

ولذلك ربّما رأينا يوحنا فم الذهب يقابل بين الرسل وبطرس فيدعو بطرس بالاول ليس في الشرف فقط بل في السلطة ايضاً. قال في ردّهِ على اليهود (٣: « قد يبكي بطرس بكاء مرًّا نكرانهُ للمسيح فمحا بهذا البكاء اثر خطيئته بحيث اضحى اول الرسل وصار الى يدهِ زمام الدنيا كلها »

وقد دعاهُ في محل آخر (ج ٧ ص ٣٣٤): « وأس العائلة الرسولية ومدبّرها »

---

١) راجع اعماله (ج ٦ ص ١٤٢) ٢) راجع ايضاً خطبة فم الذهب ضد الالعاب والمراسح (ج ٦ ص ٢١٩) ٣) ج ٨ ص ٨٣٩

واهل قائلًا يُحاجُّ هنا يوحنا في الذهب فيقول له: «ان كان المسيح كما زعمت قد سبق فاعطى الرئاسة الى بطرس فما بال الرُّسل اذن تخاصموا بعدئذٍ في شأن المقام الاول بينهم (مرقس ٩: ٣٣ ولوقا ٩: ٤٦). فيجيبهم الذهبي فهُ قائلًا (١): «ان الرسل بفعلهم هذا قد اقرُّوا برئاسة بطرس عليهم وما الحزن الذي خامر قلبهم الّا دليل واضح على تقدمه أفلا ترى انهم سكتوا حينما اختار الرب ثلاثة منهم وخصهم ببعض حالاته (يريد في يوم تجلّي الرب) ولكن لمّا رأوا ان المسيح جعل الرئاسة لواحد منهم توجّعوا واستعظموا»

فعلى رأي يوحنا في الذهب اذن هذه الخاصة التي حدثت بين الرسل هي نفسها تدلُّ على رئاسة بطرس. ولولا انهم فهموا ذلك لما جرى بينهم خصام. والدليل عليه انهم بعد صعود الرب وتأييدهم بالروح القدس تراهم مجرَّدين عن حبّ التسلُّط يذعنون لبطرس ويقدمونهُ في كل شيء كما قال الذهبيّ فهُ (٢): «بعد ان انار الروح القدس عقول التلاميذ لم يعودوا يطلبون المراتب الاولى بل يقدّمون بطرس وان كان دونهم علماً (ἀγραμματώτερον)». وقال ايضًا يذكر تقدّم بطرس على يوحنا الحبيب في الفصل الثاني من اعمال الرسل (٣): «انظر كيف يوحنا الذي كان طلب سابقًا من الرب المكان الاوّل يتنازل الآن لبطرس عن المرتبة الاولى فيدع لهُ التقدُّم عليه في التبشير وعمل المعجزات»

وما قالهُ هذا العظيم بين الآباء القديسين عن يوحنا الحبيب قد اثبتهُ في محلّ آخر عن بولس الرسول وذلك في شرحه لقول الآباء المصطفى في رسالته الى اهل غلاطية (٢: ١١) انهُ قاوم بطرس مواجهةً: «كان يعرف بولس اي تقدّم يحقّ لبطرس فكان يعظّمهُ فوق جميع البشر... ومع أنهُ كان يستلفت اليه انظار العالم باسره ويهتمُّ بامور جميع الكنائس (٢ قور ١١: ٢٧) تراهُ تاركًا كل اعماله الشريفة لينطلق الى اورشليم وليس سفرهُ هذا الّا لغاية واحدة وهي ان يرى بطرس كما اخبر هو قائلًا (غلاطية ١: ١٨): ثم اني انطلقتُ الى اورشليم لأزورَ بطرس. فانظر يا صاح كيف بولس يعظّم بطرس ويجعلهُ فوق الجميع». وقد عاد يوحنا في الذهب الى مثل هذا القول مرّةً أخرى فزادهُ ايضاحًا حيث قال: «انظر كيف يصعد بولس الى اورشليم ليجتمع ببطرس ويُكرمهُ بحضوره. ولم يقل الكتاب انهُ انطلق الى اورشليم ليرى

١) راجع الخطبة الثامنة على انجيل متّى (٧: ٦٦١)

٢) الخطبة الرابعة على متّى (٧: ٥٨-٥٠) ٣) طبعة غوم (٧: ٧٣١)

(Πατέρα) بطرس بل قال ليزورهُ (ἱστορῆσαι) وهي لفظة تستعمل لرؤية المدن العظمى والمشاهد الكبرى . . . وهذا لم يصنعهُ بولس لغيره من الرسل ولكن لبطرس وحدهُ . . . وليس ذلك مدة ساعات قلائل بل خمسة عشر يوماً (١ »

فأيم الحق لقد ضلَّ من قرأ مثل هذه الأقوال الشريفة وادَّعى بعدئذٍ ان يوحنا في الذهب لم يعرف لبطرس مزيَّة تفرزهُ عن اخوته الرسل وتجعلهُ عليهم رئيساً مطاع الكلمة فلو عرضنا كلامهُ دون ذكر اسمهِ لما تردَّد احد في نسبة هذا الكلام الى كاثوليكي شديد الاعتصام بالرئاسة البابويَّة

بيد ان للذهبي الفم أقوالاً اخرى عديدة تكشف عن فكرهِ كشفاً لا يُبقي من بعدهِ ادنى ريب . فمن ذلك ذكرهُ لخطيئة بطرس يتخذها القديس كوسيلة لا ليبخس شأن الرسول كما يفعل البعض بل ليطنب في محامدهِ ويعظِّم توبتهُ قال (٢ : ٥ دونك بطرس هامة الرُّسل صاحب المقام الاول في الكنيسة صديق المسيح . . بطرس الصفاة الغير المنكسرة والركن الثابت والرسول العظيم واول تلامذة الرب . . . هو نفسهُ اجترح لا جناية خفيفة بل جرماً فظيعاً اذ جحد سيدهُ . . لا اقول هذا لتعيير البارّ لكن لاحملكم على الثقة برحمة الله . . فان بطرس ما كاد يبكي خطيئتهُ حتى غُفرت لهُ تماماً . . . بل قُلد مفاتيح ملكوت السماوات . . فليس فقط اثبتهُ الرب في مقامهِ الاول بل القى بين يديهِ زمام الكنيسة الجامعة »

وان سأل السائل يوحنَّا في الذهب : لاي سبب سمح الله بسقوط هذا الرسول اجابهُ بهذه الكلمات العجيبة التي تزيد بطرس فخراً وتُعلن جهاراً سموّ رتبتهِ قائلاً (٣ : ٥ ان الله سمح بسقوط رسولهِ لانهُ اذ عزم على ان يجعلهُ رأس (ἄρχοντα) كل العالم المعمور اراد ان يذكِّرهُ بخطيئتهِ ليغفر هو ايضاً آثام الخطأة الذين يسقطون فيما بعد »

فللهِ درُّهُ من معلِّم تنائرت من فيهِ درر الخلاص واطقهُ الله بالحق ليكون شاهداً على مدى الدهور لصحَّة اعتقاد الكنيسة الكاثوليكيَّة في رئاسة بطرس وخلفائهِ

(ستأتي البقيَّة)

---

١) راجع شرحهُ لرسالة بولس الى اهل غلاطية (ج ١٠ : ص ٨٠٤)

٢) في خطبتهِ من التوبة (ج ٢ . ص ٢٥٣ و ٢٥٤)

٣) الخطبة الخامسة عن التوبة (ج ٢ . ص ٢٦٦)